

السياسة الاستعمارية في بلدان المغرب العربي سنة 1930

Colonial policy in the Maghreb countries in 1930.

إسماعيل العربي

طالب دكتورالي، تاريخ الحركات الوطنية المغاربية

إشراف / د. معمر لعاب

قسم التاريخ، جامعة أبو بكر بلقايد – تلمسان

الملخص:

أحاول في هذه الدراسة تسليط الضوء على السياسة الاستعمارية الفرنسية سنة 1930 في أقطار المغرب الثلاث، والتي تجسدت في مجموعة من المظاهر من احتفالات مئوية باحتلالها للجزائر والمؤتمر الأفخاريستي بتونس، إلى جانب صياغة الظهير البربري بالمغرب الأقصى، وهي أكبر دليل على الرغبة الفرنسية في القضاء على كيان هذه الدول وإرساء وجودها في المنطقة.

الكلمات المفتاحية: السياسة الاستعمارية؛ أقطار المغرب العربي الثلاث؛ الاحتفالات المئوية؛ المؤتمر الأفخاريستي؛ الظهير البربري.

Abstract:

The main objective of this study is to highlight The political of French colonisation in 1930, in the three Arabic's Maghreb countries, which took différent apparences, the centenary celebration of colonial in Algeria, the eucharistique treaty of Cartage, and the Berber policy (dhahir) in Morocco. So what was showed the french Policy aim to rieforce its setteling There.

Key words : political of French colonization; Maghreb countries; centenary celebration; eucharistique treaty of Cartage; dhahir.

مقدمة:

لعل المتتبع لسياسة الاستعمار الفرنسي في أقطار المغرب العربي الثلاث، سيقف عند المنحى الذي خلفته هذه السياسية والتي تزامنت في المنطقة في الوقت نفسه، من خلال قيام سلطات الاحتلال بمجموعة من الإجراءات هدفت إلى زعزعة و ضرب كيان هذه الشعوب واستهداف الدين والوحدة القومية، وهو ما يمثل المتنفس الوحيد لهذه الشعوب . فقد مثلت السياسة الاستعمارية لسنة 1930 في بلدان المغرب العربي منعرجا حاسما في تاريخ هذه الدول لما تضمنته من آثار وتداعيات كان لها الأثر البالغ على مصير شعوب المغرب، هذا الأخير الذي اكتسب أهمية بالغة في هذه الفترة باعتباره منطقة صراع سياسي وحضاري مع القوى الاستعمارية وخاصة وأن فرنسا كانت في أوج قوتها خلال الثلاثينات، على غرار باقي الدول الاستعمارية الأخرى، وفي ظل هذا الصراع اهتدت فرنسا إلى سياسة تهدف إلى إرساء قواعدها في المنطقة من جهة، وتقويض دعائم مستعمراتها من جهة أخرى وهو ما دفعنا بالبحث في جوانب هذه السياسية كمحاولة لمعرفة الوجه الآخر لسياسة فرنسا الاستعمارية لا تبجيلا لها ولأعمالها الشنيعة في حق الشعوب المستضعفة .

أولا- الاحتفالات المئوية بالجزائر (احتفالات الاستفزاز في حق الشعب الجزائري)

احتفلت سلطات الاحتلال الفرنسي بالجزائر بمرور قرن كامل على احتلالها للجزائر، والتي استمرت مدة ستة أشهر كاملة، حاولت فرنسا من خلالها إظهار أنها قهرت العروبة والإسلام، ولم يبق سوى فرنسا والصليب¹. ففي عام 1930 بلغ عمر الاستعمار الفرنسي في الجزائر مائة عام، مما دفع فرنسا التي اغتنمت ذلك بإقامة احتفالات ضخمة دعت إليها الدنيا على حد تعبير البعض².

فقد كانت الذكرى المئوية والمعرض الاستعماري في عام 1930 عبارة عن أوج المجد الذي بلغه الاستعمار الفرنسي، غير أن ذلك لم يكن في الواقع سوى احتفالات رسمية لا صلة لها بالوضعية الاستعمارية أو سواء بحالة الرأي العام، فقد كان الحزب الاستعماري يرى في تلك الاحتفالات ضرورة للدعاية إلى تكوين إمبراطورية مترامية الأطراف ، في ظل تمسك سلطات الاستعمار الفرنسي بفكرة النجاح الذي حققته في الجزائر لدى الرأي العام الفرنسي³.

ففي عصر القوميات الثائرة وفي ظل استعمال الفرنسيين للكلمات الرتيبة من -منتصرون-

-مهزومون-،-ممتازون-،-ناقصون-...كان التجسيد للاستفزاز جليا، فمنذ 1922 كتبت إحدى المجلات الفرنسية من الجزائر: "إننا -أي الفرنسيون- في وطننا الجزائر، لقد أصبحنا أسياد البلاد بالقوة وهذا يعني حتما أن هناك منتصرين ومهزومين ، ومنذ إخضاعنا للشعب استطعنا أن ننظم البلاد ، والتنظيم نفسه يؤكد مرة أخرى فكرة امتياز المنتصر على المهزوم، وامتياز فكرة الإنسان المتحضر على الناقص...إننا المالكون الشرعيون للبلاد"⁴.

ففكرة الاحتفال ليست بجديدة العهد تزامنت مع 1930 أو أتت بمحض الصدفة وإنما ترجع إلى 1922، حيث بدأت الصحافة الاستعمارية الترويج للفكرة، قصد استقطاب أكبر عدد ممكن من الفرنسيين للضغط على السلطات لتبني مسؤولية التنظيم و الإعداد للاحتفالات، وهذا ما جسده الكتابات المغرضة التي صورت تفوق الاستعماريين الفرنسيين على (الأهالي)، من خلال الإشادة بالإنجازات الفرنسية في الجزائر والتي منحت الكولون حق السيادة وامتلاك الأرض⁵.

فقد جرى التفكير في الاحتفال بالذكرى المئوية -للجزائر الفرنسية - بدقة ، إذ أن الحاكم العام ستيغ⁶ بدأ ينشغل بالموضوع منذ 14 ديسمبر 1923 عند تشكيله لجنة ، سميت هذه اللجنة بلجنة ستيغ، مهمتها إعداد برنامج لإحياء الذكرى المئوية لاحتلال الجزائر عام 1930، وكان من أعضاء هذه اللجنة :الوالي العام لرئاسة اللجنة والكاظم العام للولاية نائبا للرئيس ،شيوخ ونواب المجالس ،رؤساء المندوبيات المالية ،حكام المقاطعات الثلاث -قسنطينة، الجزائر، ووهران-، مدير جامعة الجزائر، رؤساء بلديات قسنطينة والجزائر ووهران رؤساء غرف التجارة للمستعمرة،

رؤساء غرف الفلاحة، مدير الأشغال العمومية، مدير الشؤون الداخلية ومدير المناطق الصحراوية، وقد اتسعت الدائرة لتشمل عمداء الجامعات ومدراء المدارس العليا ومدراء المتاحف ومحافظ المكتبة الوطنية وغيرهم من الشخصيات البارزة، وخاصة في الساحة العسكرية.⁷

ولم يحدد الوالي العام ستيف عدد أعضاء اللجنة، فقد أصدر عدة قرارات أخرى في ماي وجوان 1924 لإضافة أعداد أخرى⁸، ولعل عمل هذه اللجنة كان محدودا إذ أنها عجزت عن أداء عملها في ظل عدم تمكنها من عقد اجتماع يضم جميع الجهات الوصية السالفة الذكر.⁹

ولما تولى مورييس فيوليت¹⁰ الولاية العامة في الجزائر كان لزاما عليه العمل على جبهتين، الأولى من خلال متابعة النضال الوطني للأحزاب السياسية، والثانية الترتيب للاحتفالات المخلدة للاحتلال الفرنسي في الجزائر¹¹، وفي خريف 1927 أبدلت السلطات الفرنسية فيوليت بالحاكم العام بيار بورد، والذي كان محبوبا لدى أوساط الكولون لسوابق معارضته للحركة الوطنية الجزائرية على اختلاف تياراتها واتجاهاتها، كما كان معروفا عنه انه هو المنظم للاحتفالات، وهي الاحتفالات التي صيغتها دعاية واسعة، والتي كانت فرصة لإثارة شعور الجزائريين بالإهانة لما حملته هذه الاحتفالات من استفزازات¹²

وقد استمرت الاستفزازات بمختلف الوسائل طيلة العشرينات من القرن الماضي، وخاصة عند إقامة تمثال للجنرال لامورسيار سنة 1927 الذي شهد هزيمة الذي وإجهاض المقاومة في غرب الجزائر وما حملته هذا التمثال من معاني الإهانة، خاصة وأنه كان يشهر سيفه في وجه الجزائريين.

وقد كلف الاحتفال المخلد لمرور 100 عام على احتلال الجزائر الخزينة ما لا يقل عن 132 مليون فرنك، هدفت فرنسا من وراء كل هذا الاحتفال بالاحتلال الذي قوض أركان دولة كانت مصدر الإحراج للكثير من الدول في حوض البحر الأبيض المتوسط عبر ثلاثة قرون.¹³

وقد كان برنامج الاحتفالات متنوعا ذلك أن التحضير لها جرى بدقة، بيد أن المندوبيات المالية كانت منشغلة بتحضير مختلف المشاريع التي اعتمدت كقانون 25 مارس 1928، المجلس الأعلى للذكرى المئوية، والمحافظة العامة للذكرى المئوية.¹⁴

1- قانون 25 مارس 1928: أشار هذا القانون إلى الخطوط العريضة لعمل الأجهزة التي حملت على عاتقها تنظيم الاحتفالات، وقضايا التمويل والميزانية، وتحديد صلاحيات كل جهاز، بحيث لم تتطرق هذا القانون إلى تفاصيل عملها فاسحا المجال أمام الوالي العام للنظر في ذلك.

2- المجلس الأعلى للمئوية: يمثل أعلى سلطة مكلفة بالتنظيم والتسيير ومراقبة تطبيق برنامج الاحتفالات، وتم تحديد صلاحياته في المصادقة على البرامج المقترحة للاحتفالات وما تعلق بالميزانية وقضايا التمويل وقصد تجاوز كل الأخطاء أصدر بيار بورد تعليمة تهدف إلى إشراك كل الأطراف في الجزائر في الاحتفالات، زيادة على تحديد أعضاء المجلس بشكل يسهل اجتماع أعضائه، وبالتالي تسريع وتيرة عمله.

3- المحافظة العليا للعيد المئوي: فبتاريخ 19 ماي 1928 أصدر الوالي العام قرارا يحدد من خلاله تنظيم المحافظة العليا للعيد المئوي، ورتبت المسؤوليات فيه على النحو الآتي: المحافظ العام، رئيس السكرتارية العامة، رئيس مكاتب المحافظة، أمين عام المحافظة، كما منح القرار إمكانية استخدام موظفين مؤقتين حسب الحالة الخاصة، فأوكلت المهمة لشارل برونار لكنه استقال فاسحا المجال لجوستاف مارسيه ليكون المحافظ العام.¹⁵

وقد كانت الدعاية الخاصة بالذكرى المئوية في قمة التنظيم، ووصلت حدتها درجة الدعاية الحربية، فقد كتب المفتش بوزارة المستعمرات -بول كروزي-: "إن محاولة الدعاية التي سبقتها في الأوقات الأكثر خطورة، ربما لم يكن هناك أي دعاية تضاهي الدعاية الجزائرية الأخيرة في كثافتها ومداهها، وربما لم يكن لها هذا الترحيب لدى الفرنسيين قط".

وهو ما ترجمه وكالة هافاس-Havas- التي تحولت فيما بعد إلى وكالة الأنباء الفرنسية، 352 مقالا تضاعفت بأكثر من 14000 اعلان صحفي 1200000 من كتب دفاتر الذكرى المئوية التي وزعت على المكتبات والمؤسسات التعليمية بتخصيص 6300000 مليون فرنك منها للدعاية.¹⁶ وشاركت الحكومة حتى وان لم تكن لها أي مبادرة في الاحتفال، وصادق البرلمان في الأخير على طلب ألبير سارو-Albert Sarou – بتخصيص ميزانية قدرها 132 مليون فرنك فرنسي.¹⁷ وعليه فقد أظهر الفرنسيون حقدا دينيا، أو رغبة في الرجوع إلى الصليبية، ولعل ما جاء على لسان احد القادة اكبر دليل على ذلك من خلال قوله: "إن احتفالنا اليوم ليس احتفالا بمرور قرن على احتلالنا للجزائر، وإنما هو احتفال بتشجيع جنازة الإسلام"، وكذلك ما عبر به حاكم تبسة نحو قوله: "إننا جئنا –أي الفرنسيين – إلى الجزائر لندفن القرآن لا ليحيا".¹⁸

بدأت الاحتفالات المئوية براليات (سباقات) صحراوية من -العاصمة- الجزائر إلى غاو بالسنگال ذهابا وإيابا ومن فيفري إلى أفريل، وبإعادة تشكيل جيش فرنسا في زيه القديم والتي كانت مناسبة لكل الجمعيات والتجمعات الأوربية لتلتقي طوال السنة، وتنظيم لقراية 56 مؤتمرا وطنيا لتكون فرصة لتقديم خلاصة إيجابية حول الوضع في الجزائر والإشارة إلى الثمار و المحاسن للإنجازات الفرنسية فيها، وتحدث كل المقررين عما أنجز في الجزائر من طرف الطبيب والمعلم والبشر والمعمّر... غافلين عن الوضعية التي كان يتخبط فيها –الأهالي- في حياتهم وأعمالهم متجاهلين مطالبهم.¹⁹ وكانت المناسبة مناسبة لإقامة عشرات المعارض على اختلاف أنواعها²⁰، إلى جانب الاستعراضات والمحاضرات والألعاب والأفلام والمطبوعات والجولات السياحية وافتتاح منشآت جديدة زيادة على المسرحيات التي تستحضر صور الإنزال بسيدي فرج²¹، كما عرضت العديد من الأفلام حول المناسبة منها فيلم الذكرى المئوية والذي أخرجه جون رينوار لحساب الحكومة العامة، وكان العنوان الرمزي له "البلد".²²

وقد حضر الاحتفالات رئيس الجمهورية الفرنسية نفسه غاستون دوميرق-Gaston Doumergue – لتكون هذه الزيارة في ماي تمجيدا للاستعمار لما حملته من خلفيات، وذلك بإقامة حفل في قصر الصيف، وزيارة متحف الفنون الجميلة وحديقة التجارب، زيادة على إقامة حفلات عسكرية وأهلية في الخروبة، كما تم في بوفاريك إقامة نصب عملاق بني تمجيدا للاستعمار الفرنسي، كما تخلل ذلك زيارات الرئيس إلى قسنطينة وعنابة ووهران، علاوة على الاستعراض العسكري البحري في مدينة الجزائر.²³

وبالحديث عن الاستعراضات والنصب التذكارية فقد أقيمت العشرات منها خاصة ما تعلق الأمر بالنصب التذكاري الذي ضم كبار وجوه الاستعمار، والذين يتوسطهم المارشال بيجو²⁴؛ والذي ضم في أسفله عبارة: "إلى عبقرية الاستعمار الفرنسي" إضافة إلى نصب سيدي فرج، والذي يخلد عملية الإنزال العسكري، وكذلك نصب بوتان، والقائمة طويلة.

كما تدعم برنامج الاحتفال بتدشين منشآت جديدة وخاصة ما تعلق الأمر بالمحطة الإذاعية بالكاليتوس، واعتبارها وسيلة لنشر التأثير بين الجزائريين باللغات العربية والفرنسية وحتى العامية، إضافة إلى إنشاء العديد من المدارس كمدرسة النسيج والزراعي بتلمسان وبجاية والفخار بتيزي وزو²⁵، ولعل مجموعة مطبوعات العيد المئوي ابرز مظاهر الاحتفال، والتي تمثل مجموعة أبحاث للإنجازات الفرنسية في الجزائر ومن أهمها: مجموعة المؤسسات الجزائرية التي تناولت في مجملها دراسة تطور الإدارة ومؤسساتها بالجزائر مثل: الانجاز التشريعي، إلى جانب مجموعة الجغرافيا والتي شملت مجموعة مؤلفات خاصة ببعض مناطق الجزائر طبيعيا واقتصاديا واجتماعيا، زيادة على مجموعة التاريخ والآثار.²⁶

ثانيا- المؤتمر الأفخاريستي (سياسة المسخ الديني)

في إطار سياسة الحماية الفرنسية في تونس، والتي لم تتوقف عند تنصير المحيط التونسي فقط، وخاصة بعد إقامة التمثال أو النصب التذكاري على باب المدينة الإسلامية في تونس للكاردينال لافيغري²⁷ في جانفي 1925 والذي يخلد الذكرى المئوية لمولده، بل تجرأت على ضرب العقيدة الإسلامية للتونسيين، والتي ضلت المتنفس الوحيد للشعب التونسي من خلال إجراء مؤتمر قرباني للمسيحية والمسيحيين عرف بالمؤتمر الأفخاريستي²⁸ congres Eucharistique بقرطاج من 07 إلى 11 ماي 1930²⁹، ففي تونس كان العمل على إهانة الدين الإسلامي وكان ينتظر من المؤتمر القرباني أن يكون اجتماعا عاديا³⁰، والمؤتمر الأفخاريستي هو تظاهرة مسيحية صرفة بمساعدة معنوية ومادية من حكومة الحماية.³¹

وقد جاء انعقاد المؤتمر الأفخاريستي قبل 05 أيام من إصدار الظهير البربري وفي الشهر نفسه الذي بدأت فيه الاحتفال بمئوية الاحتلال الفرنسي للجزائر³² وهو ما أثار حفيظة التونسيين لتزامن هذه السياسة في أقطار المغرب العربي الثلاث، زيادة على العضوية الشرفية في المؤتمر لشيخي الإسلام احميدة بيرم ورئيس الإفتاء الطاهر بن عاشور حسب ما جاء على لسان بعض الصحف الفرنسية³³

وقد وقع الاختيار على مدينة قرطاج كمركز لهذا المؤتمر باعتبارها مدفن روح القديس سان لويس³⁴ - saint louise- كمحاولة لبعث كنيسة إفريقية من جديد كما عبر عن ذلك الأسقف لوميتير بقرطاج: "إننا في وطننا"، "قرطاج مدفن روح سان لويس، حيث ترفرف روحه، ولا نخشى أية حساسية..." في تعبير من فرنسا وتذكير منها بماضي النصرانية المجيد في إفريقيا، في ظل المناداة بأبرز عبارات المعاداة للإسلام والمسلمين نحو قول الكاردينال ليبسي في خطابه الرسمي عن التواجد العربي في المنطقة عند الافتتاح: "أربعة عشر قرنا من الأسى"³⁵، وهي الصورة التي أرادت منها فرنسا رسمها من خلال إقناع الشعب التونسي بأن الاحتلال أمر طبيعي بل إعادة للمسار التاريخي، وتخليص التونسيين من الوجود العربي الذي أتى غازيا للأراضي التونسية الرومانية المسيحية، في ظل الحديث عن مزايا الاستعمار الفرنسي وحضوره الذي يبعث التونسيين إلى أصلهم المسيحي الروماني واعتبار العرب غزاة محتلين.³⁶

كما انتظرت سلطات الحماية بتونس أن يبعث المؤتمر على تفاؤلها لما سيتركه المؤتمر من آثار في نفوس التونسيين باعتباره تحد لمشاعرهم الدينية ومعتقداتهم الإسلامية³⁷

ففي هذه الفترة وجهت فرنسا حملتها العدائية على العقيدة الإسلامية التي تعد الفضاء الوحيد الذي يلجأ إليه كل التونسيين في بلدهم المنكوب³⁸، وقد أكدت التظاهرة بصورة مفصولة الحضور المسيحي في إفريقيا، معبرة عن عزمها في التوسع أكثر والخروج من نطاقها، ليجري القول أنذاك بتجريد تونس من صبغتها الدينية الإسلامية ومحاولة إدخال الشعوب- الضالة- في حظيرتها بكل ما أوتيت من وسائل.³⁹

تضمن برنامج المؤتمر استعراضا للشبان في زي الصلبان، وتم توزيع البرنامج الرسمي للمؤتمر توزيعا واسعا قصد إعطائه بعدا دينيا أكثر وجلب أكبر عدد من الحضور كما تضمنت التظاهرة تعابير جارية للتونسيين⁴⁰، وبالتالي الشيء الذي امتنع منه التونسيون وأثار سخطهم من خلال اعتبار التظاهرة مساسا بدينهم وعقيدتهم، وهو الشيء الذي كتب عنه لوتورنو نحو قوله: "كان على السلطات تقليص حجم المهرجانات إلى أبعد حد ممكن، زيادة على تقليص حجم الميزانية المخصصة للمؤتمر، وهو السبب في امتعاض التونسيين من المؤتمر ومنظميه..."⁴¹

ولعل ما يفسر إصرار سلطات الحماية على تنظيم هذا المؤتمر بهذا الشكل وبهذا المحتوى هو التأكيد على الحقد الصليبي الدفين على الإسلام والمسلمين، وبالتالي فإن المؤتمر يكون قد فضح الغلاة المستعمرين أكثر مما خدمهم⁴²، من خلال التظاهرات التي حملت صور الإهانة للشعور التونسي.⁴³

وبعد المؤتمر نكبة على البلاد وذلك لاكتظاظ الشوارع في تونس بالرهبان والذين حضروا من كل حذب وصوب، مع شبان يرتدون ملابس تشبه ما كان يرتديه أفراد الحملة الصليبية الثامنة على تونس التي توقفت في قرطاج سنة 1270 وهو ما اعتبرته فرنسا إحياء للذكرى وحملة صليبية تاسعة.⁴⁴

وجاء المؤتمر ليذكر بماضي المسيحية والحملة الصليبية الثامنة، وقد تم النظر إلى هذا المؤتمر بوصفه حملة صليبية جديدة وجدت دعمها الرسمي من السلطات الفرنسية التي تحتل البلد آنذاك، حيث خصص ميزانية كبيرة ومبالغ ضخمة لإنجاح التظاهرة، في ظل الشعارات العلمانية التي ترفعها، واستقبل الرئيس الفرنسي أسقف قرطاج وأعرب عن دعمه لحملة، خاصة وأن المؤتمر كان رمزا لإحياء الكنيسة الإفريقية وتجديدا للحملة الصليبية.⁴⁵ وفعلًا كانت كل المداخلات في المؤتمر تذهب في هذا الاتجاه، وكلها تحد للإسلام والمسلمين ووعود بعودة المسيحية إلى شمال إفريقيا كما كانت في عهد الرومان⁴⁶

ولعل الشعور السيئ اتجاه المؤتمر دليل على الأثر الذي خلفه هذا المؤتمر⁴⁷ وهو ما اعتبره القائمون على المؤتمر والأوساط المقربة من المنظمين للتظاهرة نجاح للحملة الصليبية التاسعة⁴⁸

ثالثا- الظهير البربري في المغرب الأقصى (الوجه الآخر للعنصرية في سياسة الحماية الفرنسية)

على اعتبار التمازج البشري في المغرب الأقصى من عرب وبربر، قامت سلطات الحماية الفرنسية بالاعتماد على ذلك في إطار سياسيتها الاستعمارية التي مثلت مفتاح السيطرة، والرامية إلى التفرقة بين العرب والبربر في المغرب الأقصى، ضمن ما يعرف بالظهير⁴⁹ البربري، ولعل الكثير يرجع هذه السياسة إلى ثلاثينات القرن الماضي.⁵⁰ ولكن جذورها تعود إلى 1914 أي فترة ما بعد الحماية مباشرة، فقد ظهرت العديد من الظواهر التي تتناول الموضوع نفسه، مثل ظهير 11 سبتمبر 1914 الذي نص على احترام ومراعاة النظام العرقي الجاري به العمل لدى القبائل البربرية، ثم ظهير 15 جوان 1922 الذي نص على تعويض العقارات لصالح الأجانب.⁵¹ وكل هذا يصور لنا السياسة الرامية إلى التفرقة وتحقيق مطالب الكولون⁵²، ويرى المؤرخ الفرنسي شارل روبير أجرون أن ظهير 16 ماي 1930 من أخطر الظواهر على الإطلاق، وأعظمها أثرا على شعب المغرب الأقصى⁵³، والذي يهدف إلى تقسيم الأمة المغربية.⁵⁴

من خلال قيام فرنسا بعزل البربر عن إخوانهم العرب في العديد من المناطق مثلما حدث في الجزائر من ذي قبل⁵⁵، وقد ظهر ظهير 16 ماي 1930 تحت ضغط الحماية الفرنسية والذي يقوم على التفرقة بين البربر والعرب في الأمور التشريعية والمدنية بحسبانه أن البربر-خلافًا للعرب- أصحاب منظومات عرفية ومحلية خاصة، لا ينطبق عليها النظام الشرعي المطبق على عموم البلاد، وقد تضمن هذا الظهير ثمانية فصول هي:

الفصل الأول: إن المخالفات التي يرتكبها المغاربة في القبائل ذات العوائد البربرية ينظر فيها وليقع زجرها من طرف رؤساء القبائل.

الفصل الثاني: إن الدعاوي المدنية أو التجارية أو الدعاوي المختصة بالعقارات والمنقولات وقضايا الأحوال الشخصية تنظر فيها المحاكم العرفية.

الفصل الثالث: يرفع الاستئناف إلى محاكم عرفية استثنائية.

الفصل الرابع: إن المحاكم الاستئنافية تنظر أيضا في الأمور الجنائية وزجرها.

الفصل الخامس: تجعل لدى كل محكمة عرفية أو استثنائية مندوب مخزني مفوض من طرف حكومة المراقبة.

الفصل السادس: إن المحاكم الفرنسية التي تحكم في الأمور الجنائية حسب القواعد الخاصة بها، لها النظر في زجر الجنايات التي يقع ارتكابها في النواحي البربرية مهما كانت حالة مرتكب الجناية.

الفصل السابع: إن الدعاوي القضائية المتعلقة بالعقارات، إذا كان الطالب أو المطلوب فيها من الأشخاص الراجع أمرهم إلى المحاكم الفرنسية تكون من اختصاصات المحاكم الفرنسية المذكورة.

الفصل الثامن: إن جميع القواعد المتعلقة بتنظيم المحاكم العرفية وتركيبها وسير أعمالها تعين بقرارات وزيره متوالية تصدر بحسب الأحوال وما تقتضيه المصلحة.

وقد حرر نص هذا الظهير في 17 ذي الحجة 1348هـ / الموافق ل16 ماي 1930م، وقد سجل في الوزارة الكبرى في 17 ذي الحجة الموافق ل16 ماي من نفس السنة وقد اطلع عليه وأذن بنشره في الرباط في 23 ماي 1930، المقيم العام سان لوسيان.⁵⁶

وقد جسد علال الفاسي الظهير البربري في قوله: "إن هذه السياسة هي آخر ما اهتدى إليه الفكر الفرنسي للقضاء على مقومات المغرب العربي، وإدماجه في حظيرة العائلة الفرنسية..."، وحدد هدفها نحو قول: "... فالسياسة البربرية ترمي لفرنسة المغرب لغويا وسياسيا وقضائيا، وتتخذ لذلك وسائل التفرقة بين عنصرين كبيرين في البلاد".⁵⁷

كما عبر قائلا عن هذا الظهير المشؤوم: "... ومع أن هذا الظهير غامض الدلالة فإنه جرد الحكومة الشريفة من سيادتها على القبائل البربرية، وأحدث محاكم عرفية لم يعرفها المغرب في تاريخه بحال..."⁵⁸، وعليه يمكن إدراك الخطورة الكبيرة لهذا الظهير في ضوء سياسة التفرقة ومحاولة ترسيخ فرنسا لوجودها في المغرب حتى ولو اقتضى الأمر تمزيق وحدة المغرب، وإبعاد البربر عن العروبة والإسلام، وفرض الإدارة المباشرة وسلب سلطة المخزن وسيادتها على البربر.

كما أن هذا الظهير أكد على إخراج البربر من سلطة المخزن، ومن دائرة الشريعة الإسلامية، وقد استخلص منه المغاربة ثلاثة أمور:

- 1- فصل قسم من المسلمين المغاربة عن القضاء الشرعي.
- 2- تحويل المسائل القضائية في مناطق البربر إلى المحاكم الفرنسية، وهو ما يمثل خطة لتنفيذ سياسية التنصير وإعلان حرب صليبية جديدة.
- 3- تمزيق وحدة السلطة المغربية، وعد ذلك خرقا صريحا لمعاهدة الحماية.⁵⁹

ومنذ صدور هذا الظهير أخذت أعداد المبشرين تتزايد في المغرب، وأخذ هؤلاء يتنقلون في البلاد ويبنون الكنائس ويتصيدون اللقطاء والأيتام والفقراء وضعاف الإيمان، في الذي كانت فيه السلطات تمنع الفقهاء والوعاظ والمسلمين من الإحاطة بالبربر ومعاينة كل المخالفين، واتخذت سياسة قمعية في ذلك من خلال غلق المدارس والكتاتيب والمحاكم الشرعية، وقامت بطرد القضاة وأصبحت تلاوة القرآن وإقامة الصلاة واستعمال اللغة العربية أشياء محظورة في البلاد.⁶⁰

ولكن الرد من أهل المغرب كان عنيفا، بإقامة اجتماعا كبيرة في المدن الكبرى كالرباط وفاس، وعجت المساجد بالمصلين الذين كانوا يختتمون صلواتهم بتلاوة اللطيف،⁶¹ وهو ما يؤكد الالتزام بالدين والعقيدة الإسلامية.⁶²

خاتمة:

من خلال الطرح السابق نستخلص مجموعة من النتائج من خلال تطبيق فرنسا لسياسة استعمارية تزامن في وقت واحد، من خلال عقد المؤتمر الأفخاريستي بتونس ما بين 07 إلى 11 ماي، وبعده بخمسة أيام فقط عملت على سن الظهير البربري في المغرب الأقصى، كما أن ماي هو الشهر الذي بدأت فيه الاحتفالات الفرنسية المئوية بالجزائر باحتلالها.

كما اعتمدت فرنسا في سياستها الاستعمارية التي طبقتها على الجانب الديني، كمحاولة منها لضرب كيانات هذه البلدان، كمحاولة منها لاقتلاع جذور هوية هذه البلدان وتمزيق وحدة شعوبها، إلى جانب إرساء وجودها بالمنطقة أكثر.

الهوامش:

- 1- بشير كاشة الفرحي: مختصر وقائع وأحداث ليل الاحتلال الفرنسي للجزائر 1830-1962، المؤسسة الوطنية للنشر و الإشهار، الجزائر، 2007، ص 112.
- 2- رايح تركي: التعليم القومي والشخصية الجزائرية، سلسلة الدراسات الكبرى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 65.
- 3- شارل روبري أجرون: تاريخ الجزائر المعاصرة من انتفاضة 1871 إلى اندلاع حرب التحرير، ج2، دار الأمة، الجزائر، ص 641.
- 4- أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930، ج2، ط4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ص 305.
- 5- أبو القاسم سعد الله: نفسه، ص 306.
- 6- تيودور ستيغ- Théodore Steeg: الحاكم العام للجزائر ما بين 1921 إلى غاية 1925، عرفت فترة حكمه مجاعة كبيرة بسبب الجفاف وتضاؤل المنتوج سنة 1921، كما عرف بإعادة صياغة قانون الأهالي، ينظر: Alian Lardleir, le peuplement français en Algérie 1830-1900, ed /l'atlanthrope, paris, 1992, p103.
- 7- محمود علالي: دراسة لكتابات الذكرى المئوية لاحتلال الجزائر، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر 02، 2013-2014، ص ص 41-42.
- 8- إلياس نايت قاسي: الذكرى المئوية وأثرها على الحركة الوطنية الجزائرية، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر 02، 2002-2003، ص 39.
- 9- Emil Félix Gautier, un siècle de colonisation, étude au micro scope, librairie Félix Alcon, Paris, 1930, p123.
- 10- موريس فيوليت- Mouris Viollet: سياسي فرنسي اشتراكي، تولى الولاية العامة بالجزائر خلال العشرينات، وكان عارفا بشؤونها عبر عن رغبته في منح بعض الجزائريين حقوقهم المدنية والسياسية، ينظر- عبد الله مقلاتي: في جذور الثورة الجزائرية-مقاومة المستعمر المستمرة إلى الفاتح نوفمبر 1954، ج1، شمس الزيبان للنشر والتوزيع، 2013، ص 203.
- 11- محمود علالي: المرجع السابق، ص 43.
- 12- Pierre Bordes, projet de budget, imp; Administrative Emile Pfister, Alger, 1928, p3-4.
- 13- أبو القاسم سعد الله: نفسه، ص 306.
- 14- شارل روبري أجرون: المرجع السابق، ص 641.
- 15- إلياس نايت قاسي: المرجع السابق، ص ص 17-18.
- 16- محفوظ قداش: تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية 1919-1939، تر: امحمد بن البار، ج2، ط1، دار الأمة، الجزائر، 2008، ص 338.
- 17- شارل روبري أجرون: المرجع السابق، ص 642.
- 18- محمد الطيب العلوي: مظاهر المقاومة الجزائرية، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، ص 131.
- 19- أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص 306.
- 20- عبد الرحمن ابن إبراهيم ابن العقون: الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصرة، 1920-1936، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 305.
- 21- احمد توفيق المدني: حياة كفاح 1925-1954، ج2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1977، ص 177.
- 22- شارل روبري أجرون: المرجع السابق، ص ص 654-655.
- 23- عبد الرحمن ابن إبراهيم ابن العقون: المرجع السابق، ص ص 305-306.
- 24- توماس روبري بيجو دولا بيكونيري Thomas Bugeaud de la Piconnerie المعروف بالدوق دي زلي: ولد سنة 1784 بليمونج، عين حاكما عاما على الجزائر فيما بين 1840 إلى غاية 1847 حيث عرفت سنوات حكمه القسوة والبطش والقهر، لما مارسه من سياسة قمعية في حق الشعب الجزائري من خلال إصدار العديد من القوانين قصد مصادرة الأراضي، كما سعى إلى محاربة الشخصية الوطنية ومقوماتها، في إطار سياسته الرامية إلى ترسيخ الاستعمار الفرنسي في الجزائر، كما انه ارتكب مجازر ضد الجزائري، أشهرها ما يسمى بالمدخنة في مستغانم، توفي في باريس سنة 1849، ينظر: Charlotte M Yonge, memoirs of Marishal Bugeaud, vol-1, Hust and Blacqett publishers, Lodon, 1884, p1.
- 25- إلياس نايت قاسي: المرجع السابق، ص 65.
- 26- للإطلاع أكثر ينظر، محمود علالي: المرجع السابق، ص 49.
- 27- لافيغري شارل مارسيل ألمان Lafijrie Charles Marsile Almand 1825-1892، ولد في مدينة بايون جنوب فرنسا، تولى منصب رئاسة أسقفية الجزائر وأسس فرقة الآباء البيض التي حملت على عاتقها مهمة التبشير في شمال إفريقيا ووسطها، ينظر: خديجة بقطاش، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر 1830-1871، ص 131.

- 28-المؤتمر الافخاريستي: واحد من سلسلة المؤتمرات الكثيرة، نسبة إلى أفخاريسا والتي تعني باليونانية الشكر، والأفخاريسا هي الموضوع الشيق بامتياز وعلة الوجود والحياة بالمسيح، والأفخاريسا هي مدرسة بكل معنى الكلمة نظرا لما يتعلمه الإنسان-المسيحي- خاصة عند عيش أبعاد هذا السر والاحتفال به، ينظر: المطران بطرس الجميل وآخرون: سر الأفخاريسا والقداش، منشورات معهد الليتورجيا في جامعة روح القدس، لبنان، 2005، ص 1.
- 29- أحمد القصاب: تاريخ تونس المعاصر 1881-1956، ط 1، تع: حمادي الساحلي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1986، ص 532.
- 30- محفوظ قداش، المرجع السابق، ص 363.
- 31- علي المحجوبي: جذور الحركة الوطنية التونسية 1904-1934، تع: عبد الحميد الشابي، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، تونس، 1999، ص 505.
- 32-Mohamed Gneneche, le mouvement national d'indépendance en Algérie entre les deux guerres 1919-1939, tr; Sid Ahmed Buouali, ed, ENAL, Alger, 1990, p48, 49.
- 33- الطاهر المناعي: المثقفون الفرنسيون والحضارة الغربية، مابين الحربين 1919-1939، ط 1، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة، 2001، ص 232.
- 34- سان لويس Saint Louise: قائد الحملة الصليبية الثامنة على تونس سنة 1270 ولكنه توفي مع عدد كبير من الجنود بمجرد الوصول إثر وباء الطاعون، وفي 1297 قامت الكنيسة بإدراج اسمه ضمن قائمة القديسين، وكثيرا ما كان يستعمل الجانب الترفيهي قصد كسب التأييد في شن حروبه الصليبية، ينظر: إسمت غنيم: تاريخ الحروب الصليبية، 1997، ص 211.
- 35- محمد علي بلحولة: زمن العسر 1930-1940 صفحات مطوية من تاريخ تونس، 1981، ص 29.
- 36- الطاهر عبد الله: الحركة الوطنية التونسية 1918-1956، مكتبة الجماهير، بيروت، 1976، ص ص 56-57.
- 37- محمد الهادي الشريف: تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال، ط 3، تع: محمد الشاوش ومحمد عجينة، سراس للنشر، تونس، 1993، ص 119.
- 38- محي الدين القليبي: ظاهرة مربية في سياسة الاستعمار الفرنسي، هل تمثل مأساة الأندلس من جديد في شمال إفريقيا الحملة الصليبية التاسعة في المؤتمر الأفخاريستي، تقديم عبد الجليل التميمي، المجلة التاريخية المغربية، السنة 7، العدد 19-20، أكتوبر 1980، ص 265.
- 39- Samya Elmachati, le nationalisme Tunisienne, scission et conflit 1934-1944, Paris, 2002, p268.
- 40- علي المحجوبي: المرجع السابق، ص 508.
- 41-Roger Letourneau, l'évaluation politique de l'Afrique du Nord Musulmane, ed; Armand Colin, Paris, 1962, p74.
- 42- الشايب قدادرة: الحزب الدستوري التونسي الجديد وحزب الشعب -دراسة مقارنة-، أطروحة دكتوراه، جامعة منتوري، قسنطينة، 2006-2007، ص 79.
- 43- مجموعة باحثين: تونس عبر التاريخ، ج 3، مكتب الدراسات والبحوث، تونس، 2008، ص 92.
- 44- الشايب قدادرة: المرجع السابق، ص ص 80-81.
- 45- أحمد القصاب: المرجع السابق، ص 532.
- 46- الطاهر المناعي: المرجع السابق، ص 236.
- 47- خولة لعيرج: موجز تاريخ الحركة الوطنية التونسية، تونس، 2008، ص 74.
- 48-Ali Elmahjoubi, le congrès Eucharistique de Carthage et le mouvement national, cahier de Tunisie, 2^{ème}, trimestre, n° 101-102, 1987, p109.
- 49- الظهير البربري: الأمر السلطاني السامي، كلمة مستعملة منذ العهد المريني، توازي عبارة المرسوم في الوقت الحاضر، والعنوان الحقيقي له كما هو في النص العربي: ظهير شريف أما في النص الفرنسي: d'Ahir de 16 mai 1930 reglont le fonctionnement de la justice dans les tribus de coutume berbères أي ظهير 19 ماي 1930 المنظم للقضاء بالقبائل ذات العرف الأمازيغي، ينظر: محمد بودهان، الظهير البربري أكبر أكنوبة سياسية في تاريخ المغرب المعاصر، دار أبي رقراق، الرباط 2002، ص 5.
- 50-Charles Robert Ageron, politique coloniale au Maghreb, press universitaire de France, paris, p109.
- 51- إسماعيل أحمد ياغي: تاريخ العالم المعاصر، مكتبة العبيكان، الرياض، 2000، ص 433.
- 52-Charles Robert Ageron, op-Cit, p110.
- 53- أحمد أركوز: صفحات من تاريخ كفاح و مقاومة مراكش، مجلة المقاومة وجيش التحرير، العدد: 39، 1995، ص 62.

- 54- محمد علي داهش: دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر ط1، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، 2013، ص27.
- 55- الحاج حسن بوعباد: الحركة الوطنية والظهير البربري، ط1، دار الطباعة الحديثة، الدار البيضاء، 1979، ص ص11-12.
- 56- علال الفاسي: الحركات الاستقلالية بالمغرب العربي، لجنة الثقافة الوطنية لحزب الاستقلال، المغرب، 1984، ص ص161-162.
- 57- علال الفاسي: نفسه، ص ص163-164.
- 58- محمد خير فارس: تنظيم الحماية الفرنسية على المغرب 1912-1939، دمشق، ص ص450-451.
- 59- محمد علي داهش: المرجع السابق، ص29.
- 60- محمد خير فارس: المرجع السابق، ص462.
- 61- تلاوة اللطيف: دعاء مستمد من لفظ الجلالة اللطيف ورد بصيغة: "اللهم يا لطيف نسألك اللطف فيما جرت به المقادير لا تفرق بيننا وبين إخواننا البربر" ويدعى بهذا الدعاء لتفريج الهم وإزالة كل ألم ينظر محمد بودهان، الظهير البربري حقيقة أم أسطورة؟ ط1، منشورات تاوية، 2012، ص68.

62-Charles Robert Ageron, op, Cit, p137-138.